

خطاب صاحب الجلالة بعد رجوعه من القاهرة

اثر مشاركته في مؤتمر القمة الافريقي[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

شعبي العزيز :

قررت أن أخاطبك الليلة لأطلعك كما هي العادة في المناسبات المهمة في حياتنا سواء كانت حياة داخلية أو حياة سياستنا الخارجية، لأشاركك في المشاكل وفي الاختيارات المطروحة اليوم أمام ضمير الشعب المغربي بأجمعه، وأمام ضمير ملكه، قبيل انعقاد مؤتمر القمة بالقاهرة للدول الافريقية.

كنا قررنا أن نشارك في مؤتمر القمة، وكنت شخصيا آمل أن ألتحق بعدد من الأصدقاء رؤساء الدول الافريقية للتذاكر والتباحث في المشاكل التي تهم قارتنا، ولكن في هذه الأيام الأخيرة بلغ الى علم الجميع ان الحكومة الكونغولية الجديدة ترأسها وأخذ منصب وزير الخارجية فيها السيد تشومبي، ومن المحتمل بل من الطبيعي ان يشارك الكونغو برئيسه فخامة السيد كازا فوبو، وبوزيره الأول ووزير خارجيته تشومبي، ولست في حاجة أيها الشعب العزيز أن أذكرك بقضية الكونغو، وأن أذكرك بالدور الرئيسي الافريقي بل العالمي الذي لعبه المغرب في قضية الكونغو، وعلى رأسه جلالة والدي المقدس محمد الخامس، فعندما نال الكونغو استقلاله أصبح يتخبط في مشاكل أهمها وحدة ترابه وكيانه، فارتأت هيأة الأمم المتحدة أن تطلب من الدول الافريقية إرسال نجدات عسكرية الى الكونغو حتى يستتب الأمن هناك، ويمكن لتلك البلاد الفتية أن تبني مستقبلها واستقلالها على أسس متينة، ومازلت أذكر اعتزاز محمد الخامس رحمه الله حينما توصل ببرقية من السيد هامرشيولد يطلب فيها أن تكون الجيوش المغربية من جملة الجيوش التي ستشارك في عملية الكونغو، ومازلت أذكر أيها الشعب العزيز اعتزازك أنت في اليوم الذي تقدمت فيه الفرق العسكرية للقوات المسلحة الملكية هنا في الرباط في القصر الملكي أمام قائدها الأعلى إذ ذاك محمد الخامس، وتحت قيادتي المباشرة إذ ذاك، تقدمت لملكها لتذهب الى الكونغو، ولتحمل راية المغرب عالية شريفة، ومازلت أذكر كذلك أيها الشعب ومازلت تذكر أنت كذلك الجيش من الموظفين المدنيين الذين أخذناهم من جميع الوزارات فنيين أو تقنيين وكلهم شبان، وكلهم مازالوا يذكرون الحماس الذي ذهبوا به الى الكونغو لكي يساعدوا ادارة تلك الدولة الفتية، ولكن اليوم أتساءل ومن حقي ان أتساءل، ومن حقك أيها الشعب أن تضع وتطرح هذا السؤال على نفسك : لماذا ذهبنا الى الكونغو ؟ الجواب هو الآتي : حينما تقع حرب بين دولتين متجاورتين تقوم الجنود إذ ذاك لتقتل وتقتل للدفاع عن ترابها، للدفاع عن مصالحها، للدفاع عن وطنها، للدفاع عن معنويتها، للدفاع عن علمها، وتكون إذ ذاك عملية مشروعة الا وهي مشروعية الدفاع عن الحقوق المقدسة للوطن والبلاد. أما هنا في هذه القضية فقد قلنا للمغاربة : ستذهبون الى الكونغو، ستقتلون وتقتلون، والكونغو لم يكن بيننا وبينه أي مشكلة، الكونغوليون لم يعتدوا علينا ولا على أرضنا ولا على أمتعتنا، لم تكن بيننا وبينهم أية مشكلة، لا مادية ولا معنوية ولكن قلنا لهم : ستذهبون لتقاتلوا وتقاتلوا، استجابة لماذا ؟ استجابة لوطنكم لا استجابة لوطنيتكم، لا استجابة لعلمكم، ولحماية شرفكم، وانما استجابة لفضيلة عالمية، استجابة لمشروعية عالمية، ولهيأة تسمى هيأة الأمم المتحدة.



ولماذا ستذهبون تقتلون أناسا لم يكن بينكم وبينهم أي مشكل ؟ لأن هناك جماعة من الكونغوليين عند ما استقل الكونغو قرروا أن لا ينضموا إلى حظيرة الوطن، قرروا أن ينفصلوا عن الوطن، وقرروا كذلك أنهم سيحتفظون بالجيش الأجنبي وبالإدارة الأجنبية، واليوم هل يمكن لي وأنا الممثل للضمير المغربي الممثل للطهارة المغربية، الممثل للوطنية المغربية الحقة، هل يمكن لي أن أسافر وأجلس على مائدة واحدة إما للتعاون وإما للتدارس مع شخص حكمت عليه الدول الافريقية كلها وحكم عليه الضمير العالمي كله ؟ وهل يمكن للحسن الثاني الذي ساعده الحظ وشرفه الحظ أن شارك في كتابة خطاب محمد الخامس في مؤتمر الدار البيضاء هل يمكن للحسن الثاني الذي شارك وشرفه الحظ في كتابة مقررات ميثاق الدار البيضاء هل يمكن لي أنا الذي رأيت والدي رحمه الله رغم مرضه يسهر الى الواحدة صباحا عند انعقاد مؤتمر الدار البيضاء هل يمكن للمغرب الذي تزعم حركة وحدة التراب الكونغولي والذي قطع علاقاته مع عدة دول افريقية بل مع عدة دول غير افريقية هل يمكن له اليوم أن ينسى جميع هذه المسائل ويقف في المؤتمر وعند افتتاح المؤتمر خمس دقائق للترحم على أرواح الشهداء الافارقة ومن جملتهم «لومومبا» والحالة أن الذي تسبب في قتله موجود بيننا ؟ هذه ليست هي الطبيعة المغربية، يمكن شخصيا لبعض الدول وبعض رؤساء الدول ان يقبلوا المشاركة في هذا المؤتمر، وأنا أحترم إرادتهم وأفهمها، ولكن أطلب منهم بدورهم أن يتفهموا حالة المغرب ويتفهموا كذلك المشكل المطروح أمام الضمير المغربي وأمام الفضيلة المغربية أنا شخصيا لم يكن بيني وبين حكومة ليوبولد فيل أي مشكل ولا سيما بين بلدينا، وربما المصلحة تقتضي أن نرسل سفيرا خلال هذا الأسبوع الى «ليوبولد فيل» ولكن هذه ليست مشكلة، أما أن نقوم ببناء مستقبل افريقيا، وفلسفة افريقيا، ومذهبية افريقيا بالتعاون مع العملاء فهذا غير ممكن، وأستطيع أن أقول انني يمكن لي على الصعيد الافريقي وبفضل جهاد والدي المقدس رحمه الله وتربيته يمكن لي أن أخرج من جيبي ورقة المقاومة ورقة النفي ورقة التعذيب والابعاد في سبيل المثل العليا ولم يخطر نهائيا علي بأن والدي رحمه الله حينما رباني على الوفاء، وحينما رباني على الاستقامة أن أنسى الأهم في سبيل المهم، معلوم ان المغرب له مصلحة في المشاركة بشخصي في دورة الدول الافريقية لأنه ستطرح هناك عدة مسائل، وعدة مشاكل لنا القول الفصل فيها، ولكن أعتقد شخصيا كيف ما كان الحال أن الجو سيكون مغموما لأن عدة دول مثل المغرب ولو لم نقل بأنها لن تشارك في مؤتمر القمة قالت انها غير مرتاحة وغير مسرورة من مشاركة تشومبي تلك المشاركة السافرة التي نعدها تحديا لكل ضمير، ولكل خلق، فلهذا أرسلت اليوم برقية الى وزير خارجيتنا أكلفه فيها بناء على الفصل التاسع من ميثاق الوحدة الافريقية أن ينوب عني في المؤتمر، وأن له صلاحية كنيابة ارتكازاً على الفصل التاسع لكي يشارك في الالتزامات ويشارك في المذاكرات وقلت له أيضا : أن يقدم معذرتي لجميع رؤساء الدول الموجودين هناك وبالأخص للسيد جمال عبد الناصر الذي هو مضيفنا، وفعلا أقول لكم كان الله في عونه لأنه توجد عنده عائلة لومومبا، وهو المكلف بالنفقة عليها منذ أن مات رب العائلة السيد لومومبا، ولكن لا لوم عليه في ذلك لأنه مضيف، وليس مثلي، فيمكن لي أنا أن أمتنع عن المشاركة، أما بالنسبة إليه فالاجتماع فوق تراب بلاده، وأقول كذلك كان الله في عون جميع رؤساء الدول الذين هم مثلي يتخبطون في مشكلة الضمير كهذه، ولكن بكل صراحة ان افريقيا هي قارة واحدة غير أن الشعوب مختلفة والحضارة مختلفة والعوائد مختلفة والطقوس مختلفة.

نحن هنا في المغرب عادتنا مبنية على أشياء قليلة غير كثيرة، ولكنها أشياء ثابتة نقية طاهرة، وهذه الأشياء هي الوفاء بالعهد، وعدم الغموض في العمل، والبناء البطيء ان كان على أسس متينة أحسن من البناء السريع إن كان على أسس واهية وسريعة، وأملي في الله أن تتحد افريقيا في مقاييسها فيما يخص الشيء الذي قلته الآن

وباتحاد مقاييسها في الفضيلة وفي الأخلاق الروحية وفي القيم الروحية ستتوفر لنا الوسائل لبناء وحدتنا من الناحية الاقتصادية والسياسية، وانني بهذه المناسبة لانتهزها فرصة لأعبر مرة أخرى الى الكتابة العامة لمنظمة الدول الافريقية عن أسفي العميق لعدم حضوري نظرًا لحضور تشومبي. انني آسف جدا، آسف لأن من بين رؤساء الدول الافريقية من أعرفه، وصارت بيني وبينه صداقة ومنهم من لا أعرفه وأود أن أربط معه صداقة، ولكن كيف ستمتن هذه الصداقة أو تربط إذا كانت تمتن أو تربط في جو حزين يخيم عليه جثمان «لومومبا»، يخيم عليه جثمان الجنود الأفارقة — بقطع النظر عن جنسيتهم — الذين ماتوا ضحايا للعمل الاجرامي الذي قام به تشومبي وعصاباته.

وفيما يخصني أنا فلن أتنكر لسيرتي ولسياسة والدي وملكي الراحل والرجل الذي شرفني وكلفني حينما كنت إذ ذاك نائب رئيس الحكومة وكنت إذ ذاك في مؤتمر الدار البيضاء أكتب معه خطابه ومقرراته ومازال مداد هذه المقررات لم يجف بعد، ومازال جثمان لومومبا شاخصا أمام أعيننا، فمعذرة أرجوها من أصدقائي رؤساء الدول، وأؤكد لهم هنا ان المغرب بناء على الفصل التاسع أولا وهذا في الشكل وبناء على التزاماته وهذا في العمق، هو مشارك في مؤتمر القمة ملتزم بما يقرره متفق مع مقرراته، إلا أنني بصفتي الممثل للقيم الروحية الدائمة للمغرب أرجوهم أن يفهموني كما لي اليقين ان الشعب المغربي الذي جبل على الاستقامة وعلى الوفاء سوف يفهمني بل سوف يقول لي : لو لم تفعل هذا يا حسن لطلبنا منك أن تفعله، وأن لا تسافر حتى لا تعطى عن بلادنا صورة مخالفة لعبقريتنا.

ألقي بالرباط

الثلاثاء 4 ربيع الأول 1384 — 14 يوليوز 1964

(1) كان أثر هذا الخطاب عظيما في نفوس قادة افريقيا الفتية ورؤساء دولها، فاتخذ بعضهم نفس موقف جلالة الملك، حتى عدل تشومبي عن المجيء الى القاهرة، وقد شارك جلالته بنفسه في المؤتمر على رأس وفد مملكته بعدما تبين ان العميل لن يحضر.